سادساً
سورة المنافِقُون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ
إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞
وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ
يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾
سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ
وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ
إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن
ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن
قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ
وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

بين يَدَيِ التّفسير

(١)

((المنافقون هم الكاذبون ، الأعداء الحقيقيّون للمؤمنين المستكبرون ، المتربّصون الدّوائر بالمؤمنين))

الآيات (١-٨)

إذا جاءك المنافقون ، أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم ، قالوا بِأَلْسِنَتِهِمْ إنّك لرسول الله تعالى ، والله تعالى يعلم إنّك لرسوله الكريم ونبيّه العظيم ، والله تعالى يشهد إنّ المنافقين لكاذبون في شهادتهم بألسنتهم لأنّهم في أعماقهم لا يؤمنون بأنّك رسول الله تعالى . وكي يَدْفَعَ المنافقون الأّذَى عن أنفسهم وأهليهم وأموالهم فلا يعاملون معاملة الكفّار مع أنّهم أسوأ من الكفّار لأنّهم كافرون ويتظاهرون بأنّهم مؤمنون ، هم يبادرون إلى الحَلِفِ بالله تعالى ، بسببٍ وبدون سببٍ ، بأنّهم مؤمنون . وهكذا صدّ المنافقون عن سبيل الله تعالى بادّعائهم الإيمان وحَلفِهِمْ على ذلك فمنعوا المسلمين من جهادهم ومعاملتهم معاملة الكفّار ، وغرّروا بالمسلمين الّذين تأثّروا بالمنافقين الّذين قصّروا في جنب الله تعالى فَحَذَوْا حَذْوَهُمْ . إنّهم ساء ما يعملون في الخفاء ضدّ الإسلام والمسلمين، ومن آثام ، ومن كذب . ذلك السّوء من العمل الّذي أتاه المنافقون بسبب أنّهم آمنوا مرّةً وذاقوا حلاوة الإيمان ثمّ غَلَبَتْ عليهم شِقْوَتُهُم فكفروا فاستحقّوا أن يطبع الله تعالى على قلوبهم فلا يخرج منها الكفر ولا يدخل فيها الإيمان ، فالمنافقون لا يفقهون شيئاً ، ويجهلون ما ينفعهم ، ويستمسكون بما يضرّهم .

وإذا رأيت أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم أولئك المنافقين ، وعلى رأسهم زعيمهم عبدالله بن أُبَيّ ابن سَلُول تعجبك أجسامهم فخامةً ووسامةً ، وإن يقولوا تسمع

لقولهم ، فصاحة لفظ ، وحُسْن منطق . وإنّ سوء مَخْبَرِ المنافقين عكس حسن منظرهم . إنّهم بمثابة الخشب الّذي أكلت الأَرَضة لبّه ، ونَخَرَتْ صُلْبه ، وأبقت شكله الخارجيّ الخدّاع ، ولونه البرّاق . ودليلاً على عدم جدوى الخشب ، هو يمال إلى حائط ، ويُسْنَد إلى جَدْر . ولو كان الخشب ذا جَدْوَى لكان جزءاً من حائط أو سقفٍ أو بابٍ وما إلى ذلك .

وكما خَوَى باطن الخشب من كلّ خير خوى باطن كلّ منافق . إنّهم بسبب امتلاء صدورهم بكلّ غشٍّ للمؤمنين ، يحسبون كلّ صوتٍ مرتفعٍ يسمعونه إنّما يعنيهم بكلّ سوء ، ويخصّهم بكلّ مكروه . وإنّ كلّ وحيٍ ينزل على المصطفى صلّى الله عليه وسلّم تَصْفَرُّ له وجوههم ، وتُرْعَدُ بسببه فرائصهم ، اعتقاداً منهم أنّه وحيٌ يفضحهم على غرار سورة التّوبة الّتي تُلَقَّبُ بالفاضحة لفضحها المنافقين . إنّ المنافقين هم العدوّ الحقيقيّ للمؤمنين ، فخذ حذرك منهم أيّها الرّسول الكريم والنبيّ العظيم وأيّها المؤمن. قاتَلَ الله تعالى المنافقين وأهلكم وأذاقهم ذُلَّ الأولى وخزي الآخرة . كيف يُصْرَفون عن الهُدى إلى الضّلال بعد كلّ هذه الآيات البيّنات والعِظات البالغات .

وإذا قيل للمنافقين ، وعلى رأسهم زعيمهم عبدالله بن أُبَيّ ابن سَلُول ، تعالوا يستغفر لكم الرّسول الكريم والنّبي العظيم صلّى الله عليه وسلّم أَمالُوا رءوسهم ابتعاداً، وصرفوا وجوههم نفورا ، وانصرفوا بأجسادهم استكبارا . سواءٌ عليهم ويستوى في حقّهم أأستغفرت لهم يا محمّد أم لم تستغفر لهم ، لن يغفر الله تعالى لهم ذنوبهم ولن يأخذ بأيديهم إلى سواء السّبيل . إنّ الله تعالى لا يهدي القوم الفاسقين إلى الصّراط المستقيم .

إنّ أولئك المنافقين هم الّذين يقولون على لسان زعيمهم لا تنفقوا على من عند رسول الله تعالى من فقراء المهاجرين حتّى ينصرفوا عنه صلّى الله عليه وسلّم . وكأنّ بأيدي

المنافقين شيئاً من الرّزق . إنّ لله تعالى وَحْدَهُ دون سواه خزائن السّماوات والأرض وكنوزهما ولكنّ المنافقين لا يفقهون تلك المعاني السّويّة ، والمرامي القصيّة .

إنّ المنافقين يقولون على لسان زعيمهم : لئن رَجَعْنا من غزوتنا هذه إلى المدينة المنوّرة ، ليُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ من الفريقين ، يريدون المنافقين ، الأَذَلَّ من الفريقين ، يريدون المؤمنين . إنّ لله تعالى العزّة ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم ، وللمؤمنين ، ولكنّ المنافقين لا يعلمون هذه الحقيقة فهم في ضلالهم يتحيّرون ، وفي ريبهم يتردّدون .

ولمّا كان النّفاق دركات ، وأحطّها أسوأ من الكفر ، وأهونها أقربها من أبسط صور الإيمان ، وكان من صور بعض مظاهر النّفاق الأنشغالُ بالأموال والأولاد عن ذكر الله تعالى وعن الصّلاة ، وعَدَمُ التَّصَدُّق والإنفاق في وجوه البرّ ، فقد كان في السّورة الكريمة تحوّلٌ إلى التّحذير من تِلك الأعمال الّتي إن لم تكن من النّفاق فإنّها يُخْشى منها أن تؤدّي إلى النّفاق فِعْلا .

(٢)

((لا تُلْهكُمْ أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله تعالى ، وتصدّقوا قبل فوات الأوان))

الآيات (٩-١١)

يا أيّها الّذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله تعالى بالتّسبيح والتّحميد والتّهليل والتّكبير في الصّلاة وفي غير الصّلاة ، ومن يَفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون في تجارتهم مع الله تعالى . وأنفقوا ممّا رقناكم من المال الحلال من قبل أن يأتي

أَحَدَكُمُ المَوْتُ فيقول يا ربّي هلاّ أخرت موتي إلى وقت قريبٍ وزمنٍ ليس بالبعيد ، فأَتَصَدّقَ ابتغاء وجهك الكريم . إنّك يا ربّي إن أمهلتني أتصدّق بفضلك ، وأكن من الصّالحين بعونك . ولن يؤخّر الله تعالى نفساً جاء أجلها وحَضَرَتْ أَسْبابُ الموت صاحبَها . والله تعالى خبيرٌ بما تعملون . أحاط خُبْراً ببواطن الأمور كما أحاط علماً بظواهرها ، سبحانه .

التَّفْسِير

(١)
((المُنافِقُون هم الكاذبون ، الأعداء الحقيقيّون للمؤمنين ، المستكبرون المُتَرَبِّصون بالمؤمنين الدّوائر))
الآيات (١– ٨)

إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣ ۞

جُنّة : سُتْرة يستترون بها كما يستتر المستجنّ بجُنّته في حربٍ وقتال ، فيمنعون بها أنفسهم وذراريهم وأموالهم ويدفعون بها عنها[1] .

إذا جاءك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم المنافقون قالوا بألسنتهم نشهد إنّك يامحمّد رسول الله تعالى . والله تعالى يعلم إنّك يا محمّد لرسوله ورحمته للعالمين . والله تعالى يشهد إنّ المنافقين لكاذبون فيما يقولونه بألسنتهم لأنّهم يقولون بألسنتهم عكس ما تعتقده قلوبهم . والمنافقون لا يكتفون بادّعائهم الإسلام والنّطق بالشّهادتين عَلَناً إنّما يعملون على تأكيد إسلامهم بالأيمان الكاذبة المغلّظة .

إنّ المنافقين اتّخذوا أيمانهم الكاذبة سُتْرَةً يستترون بها ، ووِقايةً بحتمون بها من المؤمنين الّذين لو عرفوهم على حقيقتهم لعامَلُوهم معاملة الكفَّار . وإنّ المنافقين باتّخاذهم أَيْمانَهُمُ الكاذبة بأنّهم مسلمون جُنَّةً تحميهم في حربهم الخفيّة وغير المعلنة ضدّ المسلمين يصدّون عن سبيل الله تعالى ، وذلك بمنعهم المسلمين من محاربتهم ومعاملتهم معاملة الكفّار الّذين يعلنون الكفر ، وبالتغرير بالمسلمين الّذين يعتقدون أن المنافقين مسلمون ويتأثّرون بما يرون المنافقين عليه من تقصيرٍ في جنب الله تعالى ، وإتيان

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ٦٩ .

ما يُنْكرُهُ الدّين والعقل والعُرْف . إنّ المنافقين ساء ما كانوا يعملون من ادّعاء الإسلام ، والتّفريط في جنب الله تعالى ، وموالاة الكافرين .

وإنّ الّذي وَرَّطَ المنافقين في تلك الأخطاء والأخطار أنّهم آمنوا مرّة ، فأعلنوا الإيمان ، وربّما ذاقوا حلاوته لحظةً من اللّحظات واستضاءوا بنوره على غرار أصحاب الصَّيِّب في سورة البقرة الّذين استضاءوا بضوء البَرْق عدد مرّات إضاءة البرق الطّريق لهم ، ثمّ كفر المنافقون بعد إيمانهم . لقد استحقّ المنافقون الّذين كفروا بعد إيمانٍ أن يطبع الله تعالى على قلوبهم فلا يخرج ما في تلك القلوب من كفر ، ولا يدخل فيها ما هو خارجها من نور الإيمان . لقد كانت الثّمرة النَّكِدَة لزيادة الله تعالى قلوب المنافقين عمًى على عماها أنّهم لا يفقهون الصّواب من الخطأ ، ولا يدركون الفرق بين الصّالح والطّالح ، ولا يعلمون أنّهم إلى النّار سائرون ، وفي أعماق الجحيم مستقرّون .

ولا ينتهي العجب من رَوْعَة القول الفاصل بين الشّهادتين في الآية الكريمة : ﴿ والله يعلم إنّك لرسوله ﴾ إنّ هذه الجملة المعترضة دفعت التّوهّم بأنّ شهادة المنافقين أنّ محمّداً رسول الله ليست صحيحة ، وأثبتت كذب المنافقين في قولهم ومخالفته لاعتقادهم ، وهذا المعنى أكّده عَجُزُ الآية الكريمة .

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

كأنّهم خشبٌ مسنّدة : الخشب بضمّ الخاء والشّين جمع الخشب بفتحتين[١] مسنّدة ممالة إلى الجدار[٢] وشدّد للكثرة[٣] شُبِّهُوا في استنادهم وما هم إلاّ أجرامٌ خاليةٌ عن الإيمان والخير بالخُشُب المسندة إلى الحائط ، ولأنّ الخشب إذا انْتُفِعَ به كان في سقفٍ أو جدار أو غيرهما من مظانّ الانتفاع . وما دام متروكاً فارغاً غير مُنْتَفَعٍ به أُسْنِدَ إلى الحائط ، فَشُبِّهُوا به في عدم الانتفاع[٤] .

قاتلهم الله أنّى يؤفكون : أخزاهم الله إلى أيّ وجهٍ يُصْرَفُون عن الحقّ[٥] وأهلكهم كيف يُصْرَفون عن الإيمان بعد قيام البرهان[٦] دعاءٌ عليهم ، وهو من الله تعالى إيجاد ذلك[٧] .

وإذا رأيت المنافقين أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم تعجبك أجسامهم فخامةً ووسامة ، وإن يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم وحلاوة ألسنتهم ، والحقيقة أنّهم لفساد

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "خشب" ١/ ١٩٦ والمعجم الوسيط : "خشب" .
(٢) الجلالين .
(٣) لسان العرب : " سند " .
(٤) الكشّاف ٣/ ٢٣٤ وانظر البحر المحيط ٨/ ٢٧٢ .
(٥) تفسير الطّبري ٢٨/ ٧٠ .
(٦) الجلالين .
(٧) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "قتل" ٢/ ٥٠٨ في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ الخرّاصون ﴾ سورة الذّاريات ١٠ وانظر الكشّاف ٣/ ٢٣٤ والبحر المحيط ٨/ ٢٧٣ .

قلوبهم وخَواء أجوافهم كأنّهم خُشُبٌ قد تمكّن البِلى من أعماقها ، فهي لعدم جدواها قد أميلت إلى الجدار ، ولم يبق إلاّ مظهرها الخارجيّ البرّاق . إنّ تلك الأخشاب لو كانت ذات جَدْوَى لَتَمَّ وضعها في حائطٍ أو سقف . وإنّ إمالتها إلى جدرٍ أو على الأرض دليل تمكّن البِلى من أعماقها .

والمنافقون يعلمون جيّداً فَساد أعماقهم ومخالفة باطنهم ظاهرهم ، لذا هم يحسبون كلّ صيحةٍ عابرةٍ تعنيهمْ ، وكلّ وحي سماويٍّ يفضحهم . إنّ كلّ نداءٍ مُزْعِجٌ لهم حتّى يتأكّدوا أنّه لا يخصّهم ، وإنّ كلّ وحيٍ سماويّ تصفرّ من أجله وجوههم حتّى يتبيّنوا أنّه يعني سواهم .

ولمّا كان المنافقون أخطر من الكافرين السّافري العداوة ، لأن المنافقين مُنْدَسُّون في صفوف المسلمين ومطّلعون على أسرارهم ، فقد حذّرت الآية الكريمة المسلمين منهم وبيّنت أنّهم هم العدوّ الحقيقيّ للمسلمين ، فعلى المصطفى صلّى الله عليه وسلّم وعلى كلّ مسلم أن يأخذ حِذْرَهُ منهم . إنّ المنافقين يستحقّون من الله تعالى الخزي والهلاك في الدّنيا ، والهوان وأعماق الجحيم في الآخرة. كيف ينصرف المنافقون عن الحقّ إلى الباطل ، والإيمان إلى الكفر ، وجنّات النّعيم إلى نار الجحيم . إنّ هذا الحال الأثيم ، والمصير الأليم ، دليل عمى القلوب في صدور المنافقين والعِياذُ بالله .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

سبب النّزول :

رَوَى الإمام البخاريّ في صحيحه[1] مجموعةً من الأحاديث تسلّط الضّوء على مُلابَساتِ نزول الآيات الكريمات ، بل نزول السّورة الكريمة . وإليك بَيانَ ذلك . رَوَى البخاريّ[2] عن زيد بن أرقم[3] قال : كنت في غزاة[4] فَسَمِعْتُ عبدالله بن أبيّ [ابن سلول] [5] يقول : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتّى ينفضّوا مِنْ حَوْلِه ، ولئن رجعنا من عنده ليُخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ.فذكرت ذلك لعمّى[6]أو لعمر، فذكره

(١) فتح الباري ٨/ ٦٤٤ – ٦٤٨ الأحاديث ٤٩٠٠– ٤٩٠٤ .

(٢) فتح الباري ٨/ ٦٤٤ حديث رقم ٤٩٠٠ .

(٣) ترجمته في تهذيب الأسماء واللّغات للإمام النّوويّ ١/ ١٩٩ وهو رضي الله تعالى عنه من الخزرج وكان يتيماً في حِجْر عبدالله بن رواحة ﷺ .

(٤) في غزوة بني المصطلِق وتسمّى أيضاً غزوة المُرَيْسِيع باسم ماء لَقِيَهُمْ عليه صلّى الله عليه وسلّم وكانت سنة خمسٍ من الهجرة في الرّاجح انظر فتح الباري ٨/ ٦٤٤ ونور اليقين في سيرة سيّد المرسلين ٧٤ والسّيرة النّبويّة ٣/ ٣٠٢ والهامش رقم ٢ .

(٥) الزّيادة من الحديث رقم ٤٩٠١ فتح الباري ٨/ ٦٤٦ و ٤٩٠٤ فتح ٦٤٨/٨ .

(٦) المراد سعد بن عبادة سيّد قومه الخزرج وليس عمَّه حقيقة فتح ٨/ ٦٤٥ .

للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فَدَعاني فحدّثته . فَأَرْسَلَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى عبدالله بن أبيّ وأصحابه فحلفوا ما قالوا ، فكذّبني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وصدّقه . فأصابني همٌّ لم يُصِبْنِي مثلُه قطّ ، فجلست في البيت . فقال لي عمّي : ما أردتَ إلاّ أن كذّبك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومَقَتَك . فأنزل الله تعالى : ﴿إذا جاءك المنافقون﴾ فَبَعَثَ إليّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقرأ فقال : إنّ الله قد صدّقك يا زيد . وجاء في روايةٍ أخرى للحديث[1] فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ إذا جاءك المنافقون –إلى قوله– هم الّذين يقولون لا تنفقوا على من عند الله رسول الله –إلى قوله– ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ﴾ .

ورَوَى البخاريّ في صحيحه[2] عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : كنّا في غَزاة – قال سفيان[3] مرَّةً في جيش – فَكَسَعَ[4] رجلٌ من المهاجرين[5] رجلاً من الأنصار[6] فقال الأنصاريّ يا لَلأَنْصار[7] وقال المهاجريّ : يا لَلْمُهاجرين . فسمع ذاك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : ما بالُ دَعْوَى جاهليّة ؟ قالوا : يا رسول الله كسع رجلّ من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال : دعوها فإنّها مُنْتِنَة[8] فسمع بذلك

---

(١) فتح الباري ٨/ ٦٤٦ حديث رقم ٤٩٠١ .
(٢) فتح الباري ٨/ ٦٤٨ حديث رقم ٤٩٠٥ وانظر ٦٥٢ حديث رقم ٤٩٠٧ .
(٣) أحد رواة الحديث .
(٤) الكَسْعُ : ضَرْبُ الدُّبُر باليَدِ أو بالرِّجْل فتح ٨/ ٦٤٩ .
(٥) هو جهجاه بن قيس الغفاري . وكان مع عمر بن الخطّاب يقود له فرسه . فتح ٨/ ٦٤٩ .
(٦) هو سنان بن وبرة الجهني حليف الأنصار فتح ٨/ ٦٤٩ .
(٧) بفتح اللّام وهي للإغاثة أي أغيثوني فتح ٨/ ٦٤٩ .
(٨) أي إنّها كلمة قبيحة خبيثة فتح ٨/ ٦٤٩ .

عبدالله بن أبيّ فقال : فَعَلُوها؟ [1] أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ . فبلغ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقام عمر فقال : يا رسول الله دَعْنِي أَضْرِبْ عنق هذا المنافق . فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم : دَعْه ، لا يتحدّث النّاس أنّ محمّداً يَقْتُلُ أصحابه . وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قَدِمُوا المدينة ، ثمّ إنّ المهاجرين كَثُروا بعد .

لوّوا رءوسهم :عطفوا رءوسهم[2] وأمالوها[3]

يَصُدُّون : يُعْرِضُون عمّا دُعُوا إليه بوجوههم[4].

وهم مستكبرون : وهم مستكبرون عن المصير إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليستغفر لهم[5] رُوِيَ أنّه قيل لعبد الله بن أبيّ ابن سلول إنّه قد أُنْزِلَ فيك آيٌ شدادٌ فاذْهَبْ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يَسْتغْفِرْ لك ، فَلَوَى رأسه وقال : أمرتموني أن أومن فآمنت.وأمرتموني أن أُعْطَى زكاة مالي فأعطيت. فما بقي إلاّ أن أسجد لمحمّد[6]

حتّى ينفضّوا : حتّى يتفرّقوا عنه[7] .

ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ : يعني بالأعزّ نفسه وأصحابه ، وبالأذلّ المؤمنين[8] .

---

(١) هو استفهامٌ بحذف الأداة ، أي أفعلوها ؟ أي الأَثَرَة . أي شركناهم فيما نحن فيه فأرادوا الاستبداد به علينا فتح ٨/ ٦٤٩ .
(٢) الجلالين .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "لوى" ٢/ ٥٨٩ .
(٤) تفسير الطّبري ٢٨/ ٧٠ .
(٥) تفسير الطّبري ٢٨/ ٧٠ .
(٦) تفسير الطّبري ٢٨/ ٧١ .
(٧) تفسير الطّبري ٢٨/ ٧٢ .
(٨) البحر المحيط ٨/ ٢٧٤ .

وإذا قيل للمنافقين هلمّوا يستغفر لكم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمالوا رءوسهم وعَطَفُوها ورأيتهم أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم ويا ايّها المؤمن يعرضون بوجوههم وأجسادهم ويستكبرون في نفوسهم ويستنكفون أن يذهبوا إليه صلّى الله عليه وسلّم ويطلبوا منه أن يستغفر الله تعالى لهم . وتُجاهَ إعراضهم واستكبارهم يقول الحقّ جلّ وعلا لحبيبه صلّى الله عليه وسلّم : سواءٌ على أولئك المنافقين أ أستغفرت لهم يا محمّد أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله تعالى لهم. إنّ الله تعالى لا يهدي إلى الصّراط المستقيم القوم المصرّين على الخروج عن الطّريق القويم والصّراط المستقيم .

إنّ أولئك المنافقين هم الّذين يقولون على لسان رئيسهم عبدالله بن أبيّ ابن سلول لا تنفقوا على من عند رسول الله تعالى من فقراء المهاجرين حتّى يتفرّقوا عنه . ولِلهِ تعالى وَحْدَه دون سواه خزائن السّماوات والأرض ، وليس الرِّزْقُ بِيَدِ المنافقين ولا بِيَدِ سواهم من الخلق ، ولكنّ المنافقين لا يفقهون تلك المعاني ، ولا يدركون تلك المرامي . يقول أولئك المنافقون على لسان رئيسهم أعمى البصيرة لئن رجعنا من غزوة بني المصطلِق إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ يعني نفسه وأصحابه المنافقين ، الأذلّ ، يعني المؤمنين بقيادة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم . وإنّ الحقّ جلّ وعلا هو الّذي يتولّى الرّدّ على أعمى البصيرة رئيس المنافقين : إنّ لِلهِ تعالى العزّة ، ولرسوله محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم، وللمؤمنين من المهاجرين والأنصار . وليس المنافقين سِوَى الذِّلَّة والصَّغار . وذلك الّذي كان ، فإنّ رئيس المنافقين لم يَسْمَحْ له ابْنُه عبدالله رضي الله تعالى عنه أن يدخل المدينة المنوّرة حتّى قال ما أَمَرَهُ ابْنُهُ أن يقول : رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

الأعزّ وأنا الأذلّ[1] وبذلك نجا رئيس المنافقين من أن يقتله ابنه بالسّيف " فلم يزل حَبِيساً في يده حتّى أذن له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بِتَخْلِيَتِه" [2]والسّماح له بدخول المدينة المنوّرة .

إنّ المنافقين لا يعلمون أنّ العزّة لله تعالى ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم وللمؤمنين. لقد علم رئيس المنافقين وأصحابه تلك المعاني السّامية حينما كتب الله تعالى عليه وعلى أصحابه أن توضع أنوفهم في التّراب .

---

(١) المبحر المحيط ٨/ ٢٧٤ .

(٢) البحر المحيط ٨/ ٢٧٤ .

(٢)

((لا تُلْهِكُمْ أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله تعالى ، وتصدّقوا قبل فوات الأوان))

الآيات (٩-١١)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١

لا تلهكم : لا تشغلكم[1] .

عن ذكر الله : عن الصّلوات الخمس[2]

لو لا أخّرتني : هلاّ أخّرتني فتمهل لي في الأَجَل[3]

فأصّدّق : بإدغام التّاء في الأصل في الصّاد أتصدّق بالزّكاة[4] الفاء للسّببيّة.

أصّدّق: مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء[5] .

وأكن : الواو عاطفة. أكن: مضارع ناقص مجزوم معطوف على محلّ: ﴿فأصّدّق﴾ بحسب المعنى . أي إن أخرتني أتصدّق –بالجزم– وأكن[6] .

يا أيّها الّذين آمنوا بالله تعالى وبرسوله صلّى الله عليه وسلّم لا تَشْغَلْكُمْ أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله تعالى في الصّلوات فرضها ونفلها وفي غير الصّلوات، بل

---

(١) الجلالين .
(٢) تفسير الطّبري ٢٨/ ٧٦ .
(٣) تفسير الطّبري ٢٨/ ٧٦ .
(٤) الجلالين .
(٥) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٢/ ٣٧٥ .
(٦) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٢/ ٣٧٥ .

عليكم أن تذكروا الله تعالى في كلّ الأوقات ذكراً كثيراً ، قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم. ومن يفعل ذلك الأمر المرغوب عنه فأولئك هم الخاسرون في تجارتهم ، المغبونون في صَفْقَتِهِم . وأنفقوا أيّها المؤمنون ممّا رزقكم الله تعالى من واسع فضله ، من قبل أن يأتي أَحَدَكُمُ المَوْتُ وتَحُلَّ بكم أسْبابُهُ فيقول المُحْتَضَر يا ربّي هلاّ أخّرتني إلى أجلٍ قريبٍ ، وأمهلتني زمناً ليس بالبعيد ، فأؤدّي زكاة مالي ، وأتصدّق ابتغاء وجهك الكريم . إنّك يا ربّي إن أخرّتني أتصدّقْ وأكن من الصّالحين بِحَوْلِك يا ربّي وقوّتك . ولن يؤخّر الله تعالى نفساً إذا جاء أجلها وانقضى عمرها . والله تعالى خبيرٌ بما تعملون ، فلا يخفى على الله تعالى شيءٌ في الأرض ولا في السّماء سبحانه .

تعقيب

نودّ أن نشير في هيئة نقاطٍ إلى بعض الأمور المتعلّقة بالسّورة الكريمة :

١- سورة المنافقون من المدنيّ من القرآن الكريم الّذي نزل على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعد الهجرة[١] .

٢- عدد آيات السّورة الكريمة إحدى عشرة آية . وعدد كلماتها مائةٌ وثمانون كلمة . وعدد حروفها سبعمائة وستّةٌ وسبعون حرفا[٢] .

٣- تَشِنُّ سورة المنافقون حرباً عنيفةً على المنافقين ممّا هو دليلٌ على خطورة المنافقين آنذاك على الجماعة المسلمة ، وعلى أنّ النافقين الّذين تتعامل معهم السّورة الكريمة يمثّلون أحطّ دَرَكات النِّفاق ، فهم أشدّ سوءاً من الكافرين الّذين يعلنون كفرهم وعداءهم للإسلام والمسلمين . والسّورة الكريمة تتحدّث عن المنافقين في ثماني آياتٍ كريمات ، وتحذّر المؤمنين من ارتكاب بعض المحظورات الّتي يُفْهَم من حديث السّورة الكريمة عنها أنّها يُخْشَى على مرتكبيها أن تُفْضِيَ بهم إلى الانحطاط في دَرْكِ النّفاق لا سَمَح الله تعالى . والمعروف أنّ النّفاق في أحطّ دَرَكاته

---

(١) انظر الإتقان ٤٣/١ والجلالين وتفسير ابن كثير ٨/ ١٥١ وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٨/ ٦٩ وتفسير الطّبري ٢٨/ ٧٠ وفي ظلال القرآن ٥٣٧١ والكشّاف ٣/ ٢٣٢ والبحر المحيط ٨/ ٢٦٩ وأسباب النّزول ٤٩٨ والمحرّر الوجيز ١٦/ ١٥ وتفسير القرطبي ٦٥٩٩ .

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٨/ ٦٩ .

ينحطّ عن دَرْكِ الكفر ، أمّا في أبسط دَرَكاته فإنّه يكاد يشتبه على غير الخبير بأقلِّ دَرجات الإيمان. إنّ الإيمان دَرجات ، وإنّ النّفاق دَرَكات . وسبق أن بيّنّا في أثناء تفسير سورة الأحزاب المدنيّة دركات المنافقين الّذين تحدّثت عنهم السّورة الكريمة في شيءٍ من التّفصيل .

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله ربّ العالمين .

مكّة المكرّمة

صبيحة يوم الأحد ١٨/ ١٠/ ١٤٢٣هـ

الموافق ٢٢/ ١٢/ ٢٠٠٢م .